الباب العاشر

انتشار الإسلام في الصين

روي عن النبي ﷺ أنه قال: "اطلبوا العلم ولو في الصين"[1]. ومع أنه ليس ثمة شاهد تاريخي يدل على أن هذا الكلام قد جاء على لسان الرسول، فليس من المستحيل أن يكون الرسول قد عرف اسم هذه البلاد، وذلك لأن الصلات التجارية بين بلاد العرب والصين كانت قد توطدت قبل مولده بزمن طويل. فكانت حاصلات الشرق التي تتلقاها بلاد الشام وموانئ البحر الأبيض، تمر بنسبة هائلة عن طريق بلاد العرب. وفي القرن السادس الميلادي كانت بين الصين وبلاد العرب تجارة مهمة عن طريق سيلان. وفي بداية القرن السابع كانت التجارة بين الصين وبين فارس وبلاد العرب لاتزال واسعة الانتشار، حيث كانت مدينة سيراف، الواقعة على الخليج الفارسي، هي السوق الرئيسة للتجار الصينيين. وقد ورد ذكر العرب لأول مرة في التواريخ[2] الصينية في ذلك الوقت الذي ابتدأ فيه حكم دولة تانج T'ang (٦١٨ – ٩٠٧م)؛ وتشير هذه التواريخ إلى نشأة القوة الإسلامية في مدينا، كما تتحدث بإيجاز عن التعاليم الدينية للعقيدة الجديدة.

أما تاريخ كوانجتنج Kwangtung فيذكر قدوم أول من جاء من المسلمين إلى الصين على النحو الآتي: "في عهد دولة تانج T'ang وفد على كنتن Canton عدد كبير من الغرباء من مملكة أنَّام Annam وكمبوديا Cambodia ومدينا وبعض بلاد أخرى. وكان هؤلاء الغرباء يعبدون الله، وليس لهم في معابدهم تمثال ولا صنم ولا صورة. وكانت مملكة مدينا قريبة من مملكة الهند، وفيها نشأت ديانة هؤلاء الغرباء لتي تختلف عن ديانة بوذا. وكانوا لا يطمعون لحم الخنزير ولا يشربون الخمر، ويعتبرون الذبائح التي لا يذبحونها

---

(١) كنز العمال المجلد الخامس ص٢٠٢.

(٢) Bretschneider (2), p. 6.

بأيديهم طعامًا نجسًا. ويطلق عليهم الآن اسم هوى هوى Hui Hui[١]... ولما استأذنوا الإمبراطور وحصلوا منه على إذن بالإقامة في كنتن، بنوا دورًا جميلة من طراز يختلف عن ذلك الذي كان في بلادنا. وكانت لهم ثروة عظيمة ودانوا بالطاعة لرئيس انتخبوه بأنفسهم[٢]، ومن المحتمل جدًا، على الرغم من قلة الشواهد التاريخية الصريحة[٣]، أن الإسلام دخل الصين أول ما دخل مع التجار الذين كانوا يسلكون الطريق البحري القديم. ولكن أسبق النصوص التي يمكن أن نثق بصحتها تشير إلى علاقات سياسية تبادلوها برًا عن طريق بلاد الفرس. وعندما توفي يزدجرد آخر ملوك آل ساسان في فارس، استنجد ابنه فيروز بالصين لتنصره على العرب الغزاة[٤]؛ غير إن إمبراطور الصين أجاب بأن بلاد الفرس كانت من بعد الشقة وطول المسافة بحيث لا يستطيع أن يرسل إليه الجيوش المطلوبة؛ ولكن قيل إنه بعث إلى البلاط العربي سفيرًا يدافع عن قضية الأمير الهارب، ومن المحتمل أيضًا أن يكون الإمبراطور قد أوصى سفيره بأن يتبين مدى الاتساع والقوة في الدولة الجديدة التي كانت قد نشأت في الغرب.

وقيل إن الخليفة عثمان أرسل أحد القواد العرب ليرافق السفير الصيني في عودته سنة ٦٥١م، فأكرم الإمبراطور وفادة أول سفير من المسلمين بعث إليه. وفي عهد الوليد (٧٠٥ – ٧١٥م) (٨٦ – ٩٦هـ) نجد القائد العربي المشهور، قتيبة ابن مسلم، الذي ولاه الخليفة على خراسان، يعبر نهر سيحون ويشرع في سلسلة من الحملات الناجحة، أخضع فيها على التوالي بخارى وسمرقند ومدنًا أخرى، ومضى قدمًا في فتوحاته حتى وصل إلى الحدود الشرقية للإمبراطورية الصينية. وأرسل قتيبة، في سنة ٧١٣م، رسلًا إلى

---

(١) انظر أهل هذا الرسم في Deveria, p. 311; Mission D,Ollone, p. 420 sqq.

(٢) De Thiersant, vol. i. pp. 19 – 00.

(٣) وفيما يلي، ينبهنا دلون D,Ollone إلى التشكك في معرفتنا بالإسلام في الصين: "لا ندري شيئًا عن الإسلام في الصين، ولا نعرف بدقة كيف انتشر في الإمبراطورية، ولا عدد من ظفر بهم من الذين دخلوا في الإسلام، ولا ما إذا كانت مبادئه خالصة، ولا نعرف شيئًا عن نظامه، ولا ما إذا كانت له صلات ببقية العالم الإسلامي". (Mission d,Ollone, p. I.) وقد جمع شفر Schefer ما كتبه العرب والفرس عن الصين في: "Notice sur les relations des peuples musulmans avec les Chinois".

(٤) Chavannes, p. 172.

الإمبراطور، فصرفهم (كما تذكر بعض الروايات العربية) ومعهم هدايا ثمينة.

وبعد سنين قليلة، تذكر التواريخ الصينية سفيرًا يدعى سليمان، أوفده الخليفة هشام سنة ٧٢٦م إلى الإمبراطور هزوان تسنج Hswan Tsung . واكتسبت هذه العلاقات السياسية، التي قامت بين الدولتين العربية والصينية، أهمية جديدة في أواخر عهد هذا الإمبراطور حين طرده أحد الغاصبين من عرشه فتنحى عنه لابنه سوتسنج Su Tsung (٧٥٦م)، فطلب هذا الأخير النجدة من الخليفة العباسي المنصور، وأجابه الخليفة إلى هذا الطلب بأن أرسل إليه قوة من الجيوش العربية، نجح بمساعدتهم في استرجاع عاصمتيه سنينفو Si-ngan-fu وهو ننفو Ho-nan-fu من أيدي الثوار. وفي نهاية الحرب، لم ترجع هذه القوات العربية إلى بلادها، بل تزوجت واستقرت في الصين. ويعزى هذا التصرف الذي كان من جانبهم إلى أسباب متعددة، فتصورهم رواية من الروايات بأنهم رجعوا إلى وطنهم، ولكنهم لما لم يسمح لهم بالبقاء فيه بحجة أنهم مكثوا مدة طويلة في بلاد تأكل لحم الخنزير، عادوا ثانية إلى الصين؛ وتقول رواية أخرى إنهم كانوا، في كنتن، على أهبة الإبحار إلى بلاد العرب، وفي ذلك الوقت عيّرهم الناس بأنهم أكلوا لحم الخنزير في أثناء الغزو. وكان من أثر ذلك أنهم رفضوا أن يعودوا إلى وطنهم ويعرضون أنفسهم لخطر مثل هذه الاتهامات من قومهم؛ وحين حاول حاكم كنتن أن يجبرهم على الرحيل، انضموا إلى إخوانهم في الدين من تجار العرب والفرس، وسلبوا المتاجر المهمة في المدينة؛ فأنقذ الحاكم نفسه بالالتجاء إلى سورها، ولم يتمكن من العودة إلا بعد أن حصل من الإمبراطور على إذن لهذه الجيوش العربية بأن تقيم في هذه البلاد؛ وخصصوا لهم أراض، ودورًا في مدن مختلفة حيث استقروا وتزوجوا من نساء البلاد[١].

وكان من الشائع بين مسلمي الصين أن أول من دعا إلى الإسلام في بلادهم أحد أخوال النبي، وكانوا يعظمون قبره المشهور، في كنتن، إلا أنه لا يوجد لهذه الأسطورة أي

(١) De Thiersant, vol. i. pp. 70 – 1.

سند تاريخي، ويظهر أنها نبتت في زمن متأخر[١]. ولا شك أن ظهورها كان نتيجة لرغبتهم في أن يربطوا تاريخ الدين في بلادهم، ما أمكنهم، بعصر النبوة، ذلك العصر الذي كان مصدرًا خصبًا للأساطير في البلاد النائية عن مراكز التاريخ الإسلامي[٢].

أما فيما يتعلق بوجود مسلمين في الصين، وعلى الأخص وجود تجار منهم في الموانئ، في عهد دولة تانج، فهناك الدليل الواضح على ذلك: إذ يقول المؤرخ الصيني لهذه الفترة (٧١٣ – ٧٤٢م) إن برابرة الغرب دخلوا المملكة الوسطى جماعات، كالطوفان، جاءت من مسافة تبعد ألف فرسخ على الأقل، وأتت من أكثر من مائة مملكة، تحمل معها كتبها المقدسة كأنها الجزية، فأخذت هذه الكتب ووضعت في بهو في القصر الإمبراطوري، خصص لترجمات الكتب المقدسة والكتب القانونية[$]. وعلى هذا النحو انتشرت منذ ذلك الحين العقائد الدينية لتلك الأقطار المختلفة، وأخذ بها الناس في إمبراطورية تانج[٣]. وقد كتب أحد الجغرافيين العرب، حوالي سنة ٨٥١م يصف هذه الجاليات العربية والمساجد التي سمح لهؤلاء التجار ببنائها لإقامة شعائرهم الدينية[٤]؛ فقال إنه لم يصل إلى علمه أن أحدًا من الصينيين اعتقد الإسلام. ولكنه، وقد لاحظ نفس الملاحظة على الهند، ربما أخطأ في استقاء معلوماته عن الهند[٥]. ولكن من المؤكد أن ليس هناك دليل واضح على أن المسلمين في الصين قاموا بأي نشاط في نشر تعاليم الدعوة، والواقع أن ما ذكر عنهم جميعًا حتى عصر فتوح المغول، في القرن الثالث عشر الميلادي، كان قليلًا للغاية.

---

(١) ناقش برومهول Broomhall هذه الأسطورة مناقشة وافية: Islam in China, chaap. Iv, vii

(٢) وعلى هذا النحو يدعى أهالي خُتان Khotan أن أول من نقل الإسلام إلى أرضهم هو جعفر ابن عم النبي (Grenard: Mission Dutreuil de Rhins, t, III. P. 2) ويعزز خانات كمبوديا Cambodia دخولهم في الإسلام إلى أحد أعمام مُحَمَّد (R. du M. M., vol. II. P. 138)

($) أي الكتب الدينية التي اتفق علماء المسيحيين على صلاحيتها وصحتها.

(٣) De Thiersant, vol. I. p. 153.

(٤) Reinand: Relation des Voyages faits par les Arabes et les Persans dans l,Inde et a la Chine, i. pp. 13. 64. (Paris, 1845).

(٥) Id. P. 58

وقد تمخضت فتوح المغول عن حركة هجرة واسعة النطاق هاجر فيها المسلمون على اختلاف قومياتهم، من عرب وفرس وأتراك وغيرهم إلى الإمبراطورية الصينية[١]. فجاء بعضهم إلى الصين تجارًا أو صناعًا، وبعضهم جنودًا أو مستعمرين، وجيء بآخرين أسرى حرب. واستقر عدد كبير منهم في هذه البلاد بصفة دائمة، وتطوروا إلى طائفة كبيرة مزدهرة، فقدت خصائص جنسها الأول شيئًا فشيئًا بالزواج من نساء صينيات. وقد تقلد عدة مسلمين مناصب رفيعة تحت إمرة حكام المغول. مثال ذلك، عبد الرحمن الذي اختير سنة ١٢٤٤ رئيسًا على بيت مال الدولة، وخول حق تقدير الضرائب المفروضة على الصين[٢]، وكذلك عمر شمس الدين المشهور بالسيد الأجل وكان من أهالي بخارى، عهد إليه قوبيلاي خان، عندما اعتلى العرش سنة ١٢٥٩، في إدارة بيت مال الإمبراطورية؛ ثم أصبح حاكمًا ليونَّان Yunnan، بعد أن فتحت هذه الولاية وضمت إلى الإمبراطورية الصينية[٣]. ومات السيد الأجل في سنة ١٢٧٠، وترك بعد وفاته شهرة بأنه كان حاكمًا فطنًا عادلًا؛ إذ بنى في مدينة يونان معابد لأتباع كنفشيوس بقدر ما بنى فيها من المساجد[٤]. وقد مثلت ذرية السيد الأجل دورًا مهما في توطيد دعائم الإسلام في الصين؛ فكان حفيده هو الذي حصل من الإمبراطور في سنة ١٣٣٥ على الاعتراف بأن الإسلام "هو الدين الحق الخالص" – وهو اسم ظل الإسلام يحمل حتى يومنا هذا – وأذن الإمبراطور في سنة ١٤٢٠ لشخص آخر من سلالة السيد الأجل بأن يبني مساجد في العاصمتين، سنيانفو Si-ngan-fu ونانكن Nan-kin[٥].

وقد اتخذ مؤرخو الصين، في عهد قوبيلاي خان، من عدم تعيينه موظفين من

---

(١) ونعرف، من مذكرة راهب صيني تحول من سنة ١٢٢١ إلى سنة ١٢٢٤ خلال آسيا الوسطى حتى وصل فارس، أن الصينيين أيضًا هاجروا نحو الغرب، في البلاد التي فتحها الإسلام، حيث كانوا يحلون في بيئة نفوذه الديني؛ ويقول هذا الراهب في حديثه عن سمرقند "إن الصناع الصينيين يعيشون في كل مكان". (Bretschneider (1), vol. i. p. 78)

(٢) Howorth, vol. l. p. 161.

(٣) للاطلاع على تراجم السيد الأجل، انظر: R. du M. M.m viii. P. 344. Sqq. and xi. p. 3 sqq; Mission d,Ollone, p. 25 sqq.

(٤) Broomhal, p. 127.

(٥) Mission d,Ollone, pp. 435 – 6.

الصينيين بدلًا من مهاجري الترك والفرس ذريعة للشكوى من هذا الملك[١]. وانجذب أمثال هؤلاء الترك والفرس إلى شمال الصين، لما كان يشغله السيد الأجل من مكان رفيع، ولما أوجدته فتوح المغول من تيسير في الصلة بين الصين والغرب. ومن المحتمل أن تكون هذه الجماعات الإسلامية المتفرقة، التي تكاثرت في معظم ولايات الصين بنسبة كبيرة، قد أخذت تتكون نتيجة لهذه الهجرات.

وقد لاحظ ماركو بولو Marco Polo الذي تمتع بعطف قوبيلاي خان، وعاش في الصين من سنة ١٢٧٥ إلى سنة ١٢٩٢، وجود مسلمين في جهات شتى من يونان[٢]. ويقول مؤرخ معاصر لماركو بولو، إنه في بداية القرن الرابع الميلادي، كان جميع سكان تاليفو Talifu، حاضرة يونان، من المسلمين[٣]؛ وكذلك ابن بطوطه، الذي زار عدة مدن ساحلية في الصين، حول منتصف القرن الرابع عشر، يحدثنا عن الترحيب الحار الذي لقبه من إخوانه في الدين[٤]، ويقرر أن "في كل مدينة من مدن الصين مدينة للمسلمين ينفردون بسكانهم، ولهم فيها المساجد لإقامة الجمعات وسواها، وهم معظمون محترمون"[٥].

ويظهر أن المسلمين في الصين كانوا حتى ذلك العصر يعدون طائفة أجنبية، ولكنهم بعد زوال دولة المغول في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي، لم يتلقوا زيادة جديدة من الخارج، نتيجة لسياسة العزلة التي اتخذتها حينذاك الحكومة الصينية؛ ولما كان الأمر على هذا النحو، من انقطاع الصلة بينهم وبين إخوانهم في الدين الذين يقيمون في أقطار أخرى، أخذوا في معظم بقاع الإمبراطورية يتحولون شيئًا فشيئًا إلى الاندماج في العامة من أهالي البلاد، وذلك بالزواج من نساء صينيات، وتعود عادات أهل الصين وأخلاقهم. وقدم إليهم مؤسس دولة منج Ming الجديدة، وهو الإمبراطور هنج وو

---

(١) Howorth, vol. l. p. 257.

(٢) Marco Polo, vol. l. pp. 219, 274; ii. P. 66.

(٣) رشيد الدين (Yule,s Cathay, pp.)

(٤) رحلة ابن بطوطه، المجلد الثالث ص٢٧٥، ٢٨٣ (طبع أوربا).

(٥) نفس المرجع ص٢٥٨.

Hung Wu، كثيرًا من الامتيازات، وتدل كثرة المساجد التي بنيت على انتعاشهم خلال الفترة التي قضتها هذه الدولة في الحكم (١٣٦٨ – ١٦٤٤م).

وقد نمى ملوك هذه الدولة صلاتهم الودية بأمراء المسلمين الذين كانوا يقيمون على حدود الصين الغربية، كما أكثروا من تبادل السفراء مع الأمراء التيموريين. ويعتبر أحد هؤلاء الأمراء ذا أهمية في تاريخ نشر الدعوة الإسلامية، وهذا هو الشاه رخ بهادر، الذي انتهز سنة ١٤١٢ فرصة قدوم سفير صيني إلى قصره في سمرقند، وضمن رده على الإمبراطور الصيني دعوة إلى الإسلام، وذلك بأن أرسل مع رسوله، الذي صحب السفراء الصينيين في عودتهم، رسالتين، كانت أولاهما باللغة العربية، وهذا نصها:

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ! لا إله إلا الله، مُحَمَّد رسول الله. قال رسول الله مُحَمَّد عليه السلام: لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا ينصر من خذلهم ولا يطاع من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك. لما أراد الله تعالى أن يخلق آدم وذريته، قال: كنت كنزًا مخفيًا فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق لأعرف، فعُلِمَ أن حكمته جلت قدرته، وعلت كلمته، من خلق نوع الإنسان، إيثار العرفان، وإعلاء أعلام الهدى والإيمان. وأرسله رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، ليعلم الشرائع والأحكام، وسنن الحلال والحرام. وأعطاه القرآن المجيد معجزة، ليفحم به المنكرين، وليقطع لسانهم عند المنازعة والخصام، وأبقى بعنايته الكاملة، وهدايته الشاملة، آثاره إلى يوم القيامة؛ ونصب بقدرته في كل حين وزمان، وفرصة وأوان، في أقطار العالمين، من الشرق والغرب والصين، ذا قدرة وإمكان، وصاحب جنود مجندة وسلطان، ليروّج أسواق العدل والإحسان، ويبسط على رءوس الخلائق أجنحة الأمن والأمان، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر والطغيان. ويرفع بينهم أعلام الشريعة الغراء، وأزاح من بينهم الشرك والكفر بالتوحيد في الملة الزهراء. فوفقنا الله تعالى بسوابق لطفه، ولواحق فضله، أن نسعى في إقامة قوانين الشريعة الطاهرة، وإدامة قواعد الطريقة الزاهرة؛ وأمرنا بحمد الله أن نفصل بين الخلائق والرعايا، في الوقائع والقضايا، بالشريعة النبوية، والأحكام المصطفوية؛ ونبني في كل ناحية، المساجد والمدارس، ونعمر الخوانق والصوامع والمعابد،

كي لا يندرس أعلام العلوم ومعالمها، وينطمس آثار الشريعة ومراسمها، ولأن بقاء الدنيا الدنية وسلطنتها، واستدامة آثار الحكومة وإيالتها بإعانة الحق والصواب، وإماطة أذى الشرك والكفر عن وجه الأرض، لتوقع الخير والثواب. فالمرجو والمأمول من ذلك الجانب وأركان دولته، أن يوافقونا في الأمور المذكورة، ويشاركونا في تشييد قواعد الشريعة المعمورة".

أما الرسالة الأخرى التي كتبت بالفارسية فالدعوة فيها إلى اعتقاد الإسلام أكثر صراحة، وليس فيها التنميق البلاغي الذي رأيناه في الرسالة العربية:

"لما خلق الله الأعظم، بحكمته البالغة وقدرته الكاملة، آدم (عليه السلام) جعل بعض أبنائه أنبياء ورسلًا، وأرسلهم إلى الخلق يدعونهم إلى الحق. وأنزل على بعض هؤلاء الأنبياء كإبراهيم وموسى وداود ومُحَمَّد (عليهم السلام) كتابًا وعلمهم شريعة، وأمر أهل زمانهم أن يتبعوا شريعة كل منهم ودينه. ودعا هؤلاء الرسل جميعًا الناس إلى دين التوحيد وعبادة الله، ونهوا عن عبادة الشمس والقمر والنجوم، والملوك والأصنام؛ ومع أن كلًا من هؤلاء الرسل كانت له شريعة خاصة، فإنهم كانوا جميعًا متفقين على توحيد الله الأعظم. ولما صار أمر الرسالة والنبوة إلى مُحَمَّد المصطفى (ﷺ) نسخت كل الشرائع الأخرى. وهو نبي آخر الزمان ورسوله، وواجب على العالم بأسره – أمراء وسلاطين ووزراء وأغنياء وفقراء وصغارًا وكبارًا – أن يعملوا بشريعته، وأن يتركوا كل الملل والشرائع السابقة. هذه العقيدة الصادقة الصحيحة تسمى الإسلام. ومنذ سنوات خلت، تهيأ جنكيز خان للقتال، وأرسل أبناءه إلى بلاد وممالك مختلفة – فأرسل جوجي خان إلى حدود سراي، وقرم ودشت قفجان، حيث أسلم بعض الشاهات، من أمثال أوزبك وجاني خان وأرس خان، وعملوا بشريعة مُحَمَّد (عليه السلام)، وأصبحوا بذلك مسلمين، وانتقلوا إلى الدار الآخرة سعداء بشرف الإسلام؛ ومن هؤلاء الملك الصادق غازان وألجاتيو سلطان والشاه سعيد الحظ أبو سعيد بهادر – وغيرهم بعدهم حتى ولى العرش والدي المكرم أمير تيمور كوركان. وقد عمل والدي كذلك بشريعة مُحَمَّد (عليه السلام) في كل البلاد التي حكمها. ونعم المسلمون، طوال عهده، برخاء شامل. والآن وقد انتقلت إلى يدي، بلطف الله

وفضله، ممالك خراسان وما وراء النهر والعراق وغيرها، فإن حكم البلاد في كافة أرجاء المملكة بموجب الشريعة المطهرة النبوية؛ أمر بالمعروف ونهي عن المنكر. وأبطل يرغو وزالت قواعد جنكيز خان. ومنذ ذلك الحين صار يقينًا ومحققًا أن الخلاص والنجاة في يوم القيامة، والسلطان والدولة في الدنيا، سببها إيمان الفرد وإسلامه وعناية الله تعالى، ومن الواجب علينا أن نعامل رعيتنا بعدل وإنصاف. وإني لأرجو بفضل الله تعالى وكرمه أن تعملوا أنتم أيضًا بشريعة مُحَمَّد رسول الله (عليه السلام)، وأن تقووا الإسلام فتنالوا بدلًا من سلطان الدنيا سلطان الآخرة[1]".

وليس ببعيد أن تكون هاتان الرسالتان قد خلقتا القصة، التي نشأت في عصر متأخر، والتي روت أن أحد أباطرة الصين قد تحول إلى الإسلام[2]. وقد روى هذه القصة، مع غيرها من القصص، تاجر مسلم يدعى سيد علي أكبر، قضى سنوات قليلة في بكين، في نهاية القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر؛ ويتحدث عن عدد كبير من المسلمين الذين كانوا قد استقروا في الصين؛ فكان في مدينة كنجنفو **Kenjanfu** عدد كبير يبلغ ثلاثين ألف أسرة من المسلمين؛ فلم يؤدوا الضرائب، وتمتعوا بكرم الإمبراطور، الذي منحهم هبات من الأرض، ونعموا بالحرية المطلقة في إقامة شعائر دينهم الذي كان الصينيون ينظرون إليه نظرة احترام وتقدير، وترك أمر التحول إلى الإسلام حرًا؛ وكان في العاصمة نفسها أربعة مساجد كبيرة، وما يقرب من تسعين مسجدًا غيرها في الولايات الأخرى من الإمبراطورية، وقد بنيت كلها على نفقة الإمبراطور[3].

ولم يكن هناك حتى قيام دولة منشو **Manchu** سنة ١٦٤٤ خبر عن أية ثورة قام بها المسلمون، بل يظهر أنهم كانوا راضين كل الرضا بما كانوا يتمتعون به من حرية دينية. ولكن سرعان ما قامت الصعاب على أثر قيام السلطة الحاكمة الجديدة، فثار المسلمون

---

(١) عبد الرازق السمرقندي: مطلع السعدين ومجمع البحرين، ورقة ٦٠ – ٦١. **(Blochet, pp. 249 – 52)**

(٢) **Zenker, pp. 798 9. Melanges Orientaux, p. 65. (Publications de l,Ecole des Langues Orientales Vivantes, Ser. Ii. T. q.) (Paris 1883.)**

(٣) **Schefer, pp. 29 – 30. Zenker, p. 796.**

في ولاية كنسو Kansu سنة ١٦٤٨، وكانت هذه هي أول مرة تسلح فيها المسلمون وثاروا على الحكومة الصينية. على أنه لم يكد يأتي القرن التاسع عشر حتى أصبحت أية ثورة من هذا النوع تجر على المسلمين عواقب وخيمة، أو تقطع العلاقات الودية التي قامت منذ البداية بين مسلمي الصين وحكامهم. وتتجلى وجهة النظر الرسمية التي كانت تنظر بها الحكومة الصينية إلى هذه الصلات في القرار الذي نشره الإمبراطور ينج تشن Yung Chen سنة ١٧٣١: "في كل ولاية من ولايات الإمبراطورية، يوجد منذ قرون كثيرة مضت، عدد كبير من المسلمين، يؤلفون جانبًا من الشعب، أعتبرهم كأبنائي وأنظر إليهم كما أنظر إلى بقية رعيتي تمامًا، ولا أفرق بينهم وبين الذين لا يدينون بالإسلام. وقد تسلمت من بعض الموظفين ظلامات سرية ضد المسلمين، سببها أن ديانتهم تختلف عن ديانة غيرهم من أهل الصين، وأنهم لا يتكلمون بلغة الصين، ويلبسون لباسًا يختلف عما يلبسه سائر الأهالي. وهم متهمون بالعصيان والغطرسة والميول الثورية، وقد طلب مني أن أتخذ ضدهم تدابير صارمة.

فلما بحثت هذه الظلامات والاتهامات لم أجد لها أساسًا من الصحة. والواقع أن الدين الذي اتبعه المسلمون، إنما هو دين أجدادهم، والحق أن لغتهم ليست كلغة بقية الصينيين، ولكن ما أكثر اللغات في الصين. أما فيما يتعلق بدور عبادتهم ولباسهم وطريقتهم في الكتابة، وكلها مختلفة عما عند غيرهم من أهل الصين، فهذه مسائل لا أهمية لها مطلقًا، وما هي إلا عادة من عادات المسلمين. إنهم يتحلون بالأخلاق الفاضلة كغيرهم من الرعية، وليس هناك ما يدل على ميلهم إلى الثورة. من أجل ذلك كانت رغبتي أن تطلق لهم الحرية في إقامة شعائر دينهم، الذي يهدف إلى تعليم الناس التمسك بالحياة الفاضلة وتأدية واجباتهم الاجتماعية والمدنية. إن هذا الدين يحترم النظم الأساسية للحكومة، فماذا نستطيع أن نطلب منه أكثر من هذا؟ فإذا ظل المسلمون بعد ذلك يتصفون بما يتصف به الرعايا الأخيار المخلصون، فسأبسط لهم رعايتي بقدر ما أبسطها إلى أبنائي الآخرين. لقد ظهر منهم مدنيون وعسكريون ارتقوا إلى أعلى المناصب. وهذا أقوى دليل على أنهم تطبعوا بطابعنا وتعودوا عاداتنا، وتعلموا كيف يلائمون بين أنفسهم

وبين شرائع كتبنا المقدسة. إنهم يجتازون امتحاناتهم في الآداب كما يجتازها أي إنسان آخر. ويقومون بما يفرضه عليهم القانون من تضحية. وقصارى القول أنهم أعضاء خلص في الأسرة الصينية العظيمة وأنهم يجدون دائمًا في أداء واجباتهم الدينية والمدنية والسياسية. وحين ينظر القضاة قضية مدنية، لا تعنيهم ديانة المتخاصمين، فليس هناك إلا قانون واحد لرعيتي. فمن عمل صالحًا كوفئ عليه، ومن عمل سيئًا حق عليه العقاب"[١].

بعد ذلك بثلاثين سنة، أظهر خليفته الإمبراطور كين لنج K'ien Lung دلائل واضحة على عطفه على المسلمين، وذلك بأن رفع شأن اثنين من بيكوات الأتراك كانا قد ساعدا مساعدة فعالة على إخماد ثورة في الشمال الغربي من الإمبراطورية، وفي كاشغر، كما أظهر عطفه ببناء قصور لهم في بكين؛ وكذلك شيد مسجدًا ليصلي فيه بيكوات الأتراك الذين يزورون القصر الإمبراطوري، وليصلي فيه أسرى الحرب الذين جيء بهم من كاشغر إلى العاصمة. وكان بين هؤلاء الأسرى فتاة جميلة، أصبحت جارية للإمبراطور، ونالت حظوة عندهم. ويقال إنه في سبيل حبها بنى هذا المسجد تجاه قصره مباشرة، كما بنى قبة في فناء قصره، فتمكنت الجارية من أن تشاهد منها أبناء وطنها وهم يصلون، وأن تشاركهم في عبادتهم. وقد بنى هذا المسجد من سنة ١٧٦٣ إلى سنة ١٧٦٤، وهو يحتوي على نقش مكتوب بأربع لغات، كتب الإمبراطور نفسه النص الصيني من هذا النقش[٢].

وبعد أن قمع الثورة في زنجريا Zungaria، نقل إليها هذا الإمبراطور K'ien Lung نفسه في سنة ١٧٧٠، عشرة آلاف مهاجر عسكري من جهات أخرى من الصين، وتبعتهم أسراتهم وغيرهم من الناس، ليعمروا البلاد، ويقال إنهم جميعًا دخلوا في دين المسلمين الذين كانوا يقيمون فيما حولهم[٣]. على أنه ليس لدينا ما نذكره عن مثل هذا التحول الإجماعي إلى الإسلام هل حدث أيضًا في بقاع أخرى من الإمبراطورية؟ ولكنه من

---

(١) De Thiersant, tome i. 154 – 6.

(٢) Broomhall, p. 92 sqq. Deveria: Musulmans et Manicheens chinois. (J. A. qme. Ser., tome x. p. 447 sqq)

(٣) De Thiersant, tome i. pp. 163 – 4.

العسير، وإن كان عدد السكان في تلك الولايات التي استقر فيها المسلمون الغرباء أكبر منه في سائر الولايات[١]، أن نفسر وجود عدد كبير من الأهالي المسلمين في كل ولاية من ولايات الصين بأنه إنما يرجع إلى الهجرات الأجنبية ونمو السكان نموًا طبيعيًا[٢].

وليس من المحتمل أن يكون مسلمو الصين، الذين نعموا بالحرية الدينية وبحماية بعض الأباطرة لحريتهم، قد تجردوا طوال القرون الكثيرة التي عاشوها في الصين، من تحمسهم لنشر تعاليم الإسلام، ذلك التحمس الذي يلاحظه الباحثون المحدثون على ذريتهم في عصرنا هذا[٣]. وإلى مثل هذا النشاط المباشر في الدعوة إلى الإسلام يعزى إسلام يهود من الصينيين، بدأ استيطانهم لهذه البلاد من عصر مبكر فشغلوا وظائف في الحكومة وامتلكوا ضياعًا واسعة؛ ولكن جزءًا كبيرًا منهم تحول إلى الإسلام في نهاية القرن السابع عشر[٤]. ولا بد أن هذا النوع من الدعوة إلى الإسلام كان في غاية الرزانة والوقار، والواقع أنه كانت هناك أساليب علنية أخرى في الدعوة أثارت شكوك الحكومة، كما يتضح من التقرير الذي أرسله حاكم ولاية خوانسي Khwang-Se إلى الإمبراطور كين لنج سنة ١٧٨٣. وهذا نصه:

"إن لي عظيم الشرف أن أحيط جلالتكم علمًا بأن مغامرًا يدعى هانفوين Han-Fo-Yun، من ولاية خوانسي قبض عليه بتهمة التشرد. فلما سئل عن عمله، اعترف بأنه قضى عشر سنوات يطوف بشتى ولايات الإمبراطورية كي يستطلع أحوال ديانته. وقد وجدنا في إحدى حقائبه ثلاثين كتابًا، كتب بعضها بنفسه، وكتب بعضها بلغة لا يفهمها أحد عندنا. وتمجد هذه الكتب ملكًا من ملوك العرب يدعى محمدًا، في أسلوب مسرف

---

(١) يذكر برومهول Broomhall في الفصل الثاني عشر من كتابه "الإسلام في الصين" "Islam in China" أن مجموعهم يتراوح بين خمسة وعشرة ملايين نسمة. أما دلون d,Ollone فإنه يخفض هذا العدد إلى أربعة ملايين نسمة.

(٢) يقال إن المسلمين الصينيين أكثر إنسالًا من غيرهم من الصينيين، ويقدر التعداد الصيني، الذي يحصي الأفراد حسب الأسر، ستة أفراد للأسرة من الصينيين المسلمين وخمسة أفراد للأسرة من الصينيين غير المسلمين. (Broomhall, pp. 197, 203)

(٣) Vide infra, pp. 309 – 310.

(٤) Clark Abel: Narrative of a journey in the interior of China. P. 361. (London, 1818)

يدعو إلى السخرية. وحين قدمنا هذا الضال الذي ذكرناه من قبل للتعذيب، اعترف أخيرًا بأن الغرض الحقيقي من رحلته أن يدعو لهذا الدين الزائف الذي يتعلمونه من هذه الكتب، كما اعترف بأنه قضى في ولاية شنسي Shen-Si مدة أطول مما قضاه في أية ولاية أخرى. لقد اختبرت هذه الكتب بنفسي فوجدت بعضها مكتوبًا بلغة أجنبية؛ ولهذا لم أستطع فهمها: أما بعضها الآخر الذي كتب باللغة الصينية فرديء جدًا، ويمكن أن أضيف إلى ذلك أنها كانت أيضًا تبعث على السخرية لما فيها من مغالاة في مدح أشخاص، من المؤكد أنهم ليسوا أهلًا لهذا المدح، لأني لم أسمع بهم حتى مجرد السماع. وربما كان هانفويون الذي تقدم ذكره أحد الثوار من كنسو Kan-Su. ولا شك أن مسلكه يدعو إلى الريبة، إذ ماذا كان يريد أن يعمل في هذه الولايات التي طاف بها مدة السنوات العشر الأخيرة من حياته؟ وإني عازم على بحث المسألة بحثًا جديًا. وفي هذه الأثناء، ألتمس من جلالتكم، أن تأمروا بإحراق صحائف الطباعة، التي في حوزة أسرته، وبالقبض على من حفروها، وبالقبض أيضًا على من ألفوا هذه الكتب التي أرسلتها إلى جلالتكم، رغبة في الوقوف على ما ترونه في هذا الأمر[١]".

وإن هذا التقرير ليشهد على نشاط واحد، على الأقل، من دعاة المسلمين في القرن الثامن عشر الميلادي، كما يدل على أن نمو الإسلام، وهو ما لاحظه هناك رسل الجزويت[٢] في القرن الثامن عشر، لا يحتمل أن يكون ضعيف الصلة بالدعوة الصريحة إلى الإسلام، كما زعم بعضهم. ويعزو دوهلد Du-Halde الزيادة في عدد المسلمين، في فصل من الفصول القليلة التي خصصها للمسلمين في كتابه الضخم[٣]، إلى ما اعتادوه من شراء الأطفال أيام المجاعات. "لقد استوطن المسلمون مدة تربو على ستمائة سنة، في مختلف الولايات، حيث يعيشون في هدوء تام، لأنهم لا يقومون بأية جهود كبيرة لنشر عقيدتهم

---

(١) De Thiersant, tome ii. Pp. 361 – 3.

(٢) كتب أحد رسل الجزويت من بكين في سنة ١٧٢١ يقول "إن طائفة المسلمين تتسع شيئًا فشيئًا". (Letters edifiantes et curieuses, tome xix. P. 140)

(٣) J. B. du Halde: Description geographique. Historique, chronologique, politique et physique de l,Empire de la Chine, tome iii. P. 64. (Paris, 1735)

وكسب مسلمين جدد، ولأنهم في الأزمان الماضية لم يزد عددهم إلا عن طريق التحالف مع الصينيين والزواج منهم. ولكنهم سائرون، منذ سنين، في تقدم ملحوظ بفضل ما لهم من ثروة؛ فهم يشترون الأطفال الوثنيين حيثما كانوا؛ ولا يجد آباء هؤلاء الأطفال غضاضة في بيعهم، لعجزهم دائمًا عن توفير القوت لهم.

وفي أثناء المجاعة التي خربت شانتونج Chantong، اشترى المسلمون ما يربو على عشرة آلاف من هؤلاء الأطفال. ويتزوج المسلمون بالصينيات، ويشترون لهم الدور، أو يبنون لهم في المدينة أحياء مستقلة، بل قرى بأكملها؛ وحصلوا شيئًا فشيئًا على مثل هذا النفوذ في جهات عدة، حتى إنهم لم يتيحوا لأي شخص لا يذهب إلى المسجد أن يعيش بين ظهرانيهم. وبمثل هذه الوسائل تضاعف عددهم إلى حد كبير، خلال القرن الماضي".

وشبيه بهذا، ما حدث في المجاعة التي اجتاحت ولاية كوانجتنج Kwangtung سنة ١٧٩٠، إذ اشترى المسلمون فيما يقال، عددًا كبيرًا يبلغ عشرة آلاف طفل، كان آباؤهم من الفقر بحيث لم يستطيعوا الإنفاق عليهم، فرغبوا في التخلص منهم إنقاذًا لأبنائهم من الهلاك جوعًا؛ وقد تربى كل هؤلاء على دين الإسلام[١]. وقد زار القاهرة في سنة ١٨٩٤ صيني مسلم من ولاية يونان، يدعى سيد سليمان، فذكر عندما قابله مندوب إحدى الصحف العربية[٢]، أن عدد الذين يدخلون في الإسلام كل عام، بهذه الطريقة، يفوق الحصر والعد.

وشهد مسيو دلون M.D'Ollone بما يشبه ذلك، ويقرر أن عادة شراء الأطفال هذه، في أيام المجاعات، منتشرة حتى الآن بين المسلمين في جميع أنحاء الصين؛ وعلى هذا النحو اشتروا أطفال المسيحيين الذين قتلهم الملاكمون Boxers في سنة ١٩٠٠، ونشئوهم على الإسلام[٣].

ويميل المسلمون في الصين إلى أن يعيشوا جماعة في مدن وقرى مستقلة، أو يكونوا

---

(١) Anderson, p. 151. Groier, tome iv. P. 507

(٢) ثمرات الفنون، ١٧ من شوال، ص٣ (بحروت سنة ١٣١١هـ).

(٣) Mission d,Ollone, p. 279. R. du M. M., tome ix, pp. 577, 578.

لأنفسهم في المدن أحياء إسلامية منفصلة، حيث لا يبيحون لأي شخص لا يذهب إلى المسجد أن يقيم بينهم[١]. ومع أنهم يعيشون على هذا النحو من العزلة إلى حد ما، نراهم حريصين على أن يتجنبوا الظهور العلني بأي مظهر خاص من مظاهر الشعائر الدينية الإسلامية، التي قد تضايق جيرانهم، كما نراهم حريصين على ألا يثيروا تعصب مواطنيهم من الصينيين. والمسلمون يلتزمون في حياتهم العادية ما هو شائع حولهم من عادات وطبائع؛ فهم يتخذون ضفائر الرأس والملابس الصينية المعروفة، كما جرت العادة بأن يلبسوا العمامة في المساجد فقط. وكذلك يتجنب المسلمون هناك بناء مآذن عالية، في أي مكان يبنون فيه، تفاديًا من إثارة تعصب الصينيين[٢]. بل إن مساجدهم كانت في معظم الأحيان تتفق مع المعمار الصيني، فكانت في الغالب لا تتميز بشيء عن معابد الصينيين[٣] أو مساكنهم العادية.

وقد فرض القانون أن يكون في كل مسجد لوح للإمبراطور، منقوش عليه "عاش الإمبراطور الخالد إلى الأبد". وكان المسلمون يسجدون أمامها جريًا على العادة الصينية المتبعة، وكانت لهم حيل عديدة في التخلص من ذلك، إرضاء لضمائرهم وتفاديًا من الاتهام بالوثنية[٤]. حتى في بلاد التتار الصينية، التي كان مباحًا فيها للجنود المسلمين امتياز خاص يخول لهم أن يعيشوا غير مندمجين في غيرهم، وأن يكونوا طائفة منفصلة، كان كبار الموظفين من المسلمين يرتدون الزي المخصص لمناصبهم، ويرسلون شواربهم، وجدائل شعرهم، ويقومون في أيام العطلة بما كان مفروضًا على الموظفين من شعائر الولاء المعهودة، لصورة الإمبراطور، وذلك بأن يسجدوا لها ثلاث سجدات[٥]. وكذلك كان جميع أصحاب المناصب من المسلمين وغيرهم من الموظفين، في الولايات الأخرى، يؤدون في أيام الأعياد الشعائر الخاصة بوظائفهم في معابد كنفشيوس. والواقع أن المسلمين

---

(١) Broomhall, p. 226. Grosier, tome iv. P. 508.

(٢) Vasil,ev., p. 15.

(٣) Broomhall, p. 237.

(٤) Id. Pp. 186, 228.

(٥) Arminius Vambery: Travels in Central Asia, p. 404. (London, 1864)

احتاطوا كل الحيطة كي لا يظهر دينهم بمظهر المعارض لدين الدولة، وقد نجحوا، من أجل هذا، في تجنب الكراهية التي كان الصينيون ينظرون بها إلى أصحاب الديانات الأجنبية، كاليهودية والمسيحية. بل كان المسلمون يصورون ديانتهم لمواطنيهم من الصينيين على أنها متفقة مع تعاليم كنفشيوس، مع فارق واحد، هو أن المسلمين يسيرون وفق تعاليم أجدادهم في الزواج، والجنازات، وغسل الأيدي قبل وجبات الطعام، وتحريم الخنزير والخمر والدخان ولعب الميسر[١].

وكذلك كانت مؤلفات المسلمين الصينيين تمجد كتب كنفشيوس وغيرها من الكتب الصينية، وتشير، ما استطاعت، إلى ما هنالك من الاتساق بين ما في هذه الكتب الصينية وبين تعاليم الإسلام[٢].

كذلك كانت الحكومة الصينية، تعطي المسلمين من رعاياها دائمًا (عدا أوقات الثورة) نفس الحقوق والامتيازات التي كان ينعم بها سائر أفراد الشعب. فلا تغلق في وجوههم وظيفة من وظائف الدولة؛ بل يتمتعون، بالوظائف حكامًا للولايات، وقوادًا للجيش، وقضاة ووزراء للدولة، بالثقة والاحترام من الحكام والشعب جميعًا. وقد ظهرت أسماء المسلمين في التاريخ الصيني، كموظفين مشهورين في الدولة من الناحية الحربية أو المدنية، بل اشتهروا أيضًا في الفنون الصناعية، والعلوم كالرياضة والفلك[٣].

ويقال كذلك إن المسلمين الصينيين رجال أعمال أذكياء، وتجار ناجحون؛ فهم يحتكرون تجارة لحوم البقر ويزاولون تجارات أخرى بنجاح عظيم[٤]. وهكذا نجدهم على صلة بكل ناحية من نواحي الحياة القومية، ونجد لديهم كل فرصة للقيام بالدعاية، ولكن البعثات المسيحية القليلة التي اهتمت بهذا الموضوع ترى أن هؤلاء المسلمين لا تدفعهم

---

(١) Vasil,ev, p. 16.

(٢) De Thiersant, tome ii. Pp. 367, 372.

(٣) ثمرات الفنون من ٢٨ شعبان ص٣ Id. Tome i. p. 247.

(٤) Broomhall, p. 224.

حماسة خاصة في نشر تعاليم الإسلام[١]. وإن ما هو ثابت من أن عددًا كبيرًا من المسلمين الصينيين، يستطيع الواحد منهم أن يعين اسم أول من أسلم من أجداده لدليل على استمرار عملية التحول إلى الإسلام[٢]. ومن الواضح أن المسلمين لم يكن مباحًا لهم أن يدعوا إلى دينهم في الطرقات، كما يفعل البروتستانت[٣]، ولكنهم (كما رأينا من قبل) [٤] لا يخفقون في اغتنام الفرصة إذا ما سنحت لهم، كي يزيدوا من عدد طائفتهم. ومن كتب المسلمين الدينية كتاب "الهداية إلى قواعد الدين الصحيح"، (نشر في كنتن سنة ١٦٦٨)، وهو كتاب يثنى على نشاط الدعوة إلى الإسلام، ويشير إلى هؤلاء الذين دخلوا في هذا الدين حديثًا من بين الوثنيين[٥].

ويتعلم المحدثون في الإسلام قواعد هذا الدين الأساسية في كتب منظومة[٦]. ويعزو سيد سليمان، إسلام كثيرين في السنين الأخيرة، إلى تأثير كتب المسلمين الصينيين[٧]. ويقال إن المعهد الإسلامي في هوتشو Hochow بولاية كنسو Kansu يعلم طلبة العلوم الدينية النظرية، ثم يعودون إلى ولاياتهم، إذا ما أتموا دراستهم لينشروا هناك دينهم[٨]، كما يقال إنهم بدأوا عملهم هذا في أكثر من حواضر عشر ولايات، أعدوا من فيها من المُلّيات للترويج للإسلام[٩]. ويحول الضباط الحربيون إلى الإسلام كثيرًا من الجنود الذين يعملون تحت رياستهم، وكذلك يستغل أصحاب المناصب من المسلمين سلطتهم التي يتمتعون بها في الظفر بمسلمين جدد، ولكن لما كانوا كثيري التنقل ممن مكان إلى آخر لم

---

(١) Du Halde, loc. Cit. Broomhall, p. 282.

(٢) Mission d,Ollone, pp. 210, 431.

(٣) Broomhall. Pp. 274, 282.

(٤) P. 307.

(٥) Broomhall, pp. 231 – 2.

(٦) W. J. Smith, p. 175. Mission d,Ollone, p. 407 sqq.

(٧) ثمرات الفنون نفس الإشارة المذكورة سابقًا.

(٨) Broomhall. P. 240.

(٩) The Missonary Review of the Eorld, vol. xxv. P. 786 (1912)

يستطيعوا أن يحدثوا مثل هذا التأثير العظيم الذي أحدثه الضباط المسلمون[١].

وقد تحدث كذلك حالات من التحول إلى الإسلام لم تكن نتيجة للدعوة الصريحة إليه. من ذلك أن رحالة تركيا، زار بكين في سنة ١٨٩٥، فذكر أنه رأى هناك ثلاثين مسجدًا، كان أحدها، في الأصل، معبدًا لأسرة أحد الصينيين الأثرياء؛ وقد أنقذ المفتي وأهُناد (عبد الرحمن) حياة هذا الثري، في أثناء ثورة الملاكمين Boxers؛ فدخل الثري في دين مخلِّصه اعترافًا له بالجميل[٢].

وكانت هناك في الأعوام الأخيرة، بعوث من الترك وغيرهم من المسلمين تزور الصين، وقد حاولت أن تبث في المسلمين الصينيين معرفة بدينهم تكون أوفى وأشمل، كما حاولت أن تثير فيهم حماستهم، ولكن يبدو أن جهود هذه البعوث لم تثمر إلا قليلًا[٣].

وفي سنة ١٨٦٧، عبر كاتب روسي[٤]. في كتاب مهم كتبه عن الإسلام في الصين، عن الفكرة التي تقول بأن الإسلام مهيأ لأن يصبح الدين القومي للإمبراطورية الصينية، ولأن يقلب تبعًا لذلك، الأوضاع السياسية في العالم الشرقي رأسًا على عقب.

وقد مر ما يقرب من نصف قرن على سماع هذه النبوءة المزعجة؛ ولكن شيئًا من ذلك لم يحدث، يحقق هذه التكهنات؛ بل على العكس من ذلك، يبدو أن الإسلام كان في خلال القرن الماضي آخذًا في التأخر أكثر من أن يكون آخذًا في التقدم، منذ أن أدت المذابح الكثيرة التي صحبت قمع الثورات الوثنية التي ظهرت في يونان من سنة ١٨٥٥ إلى سنة ١٨٧٣، وثورة توجان التي ظهرت في ولاية كنسو وشنسي من سنة ١٨٦٤ إلى سنة ١٨٧٧ ومن سنة ١٨٩٥ إلى سنة ١٨٩٦ إلى نقص عدد الأهالي من المسلمين

---

(١) Mission d,Ollone. P. 431.

(٢) R. du M. M., iii. P. 124. (1907)

(٣) Broomhall. Pp. 242, 286, 292 sqq.

(٤) Vasil,ev, pp. 3, 5, 14, 17.

ملايين من الأنفس[١].

وقد أعطى قيام الجمهورية الجديدة المسلمين الصينيين حرية في العمل (الدعوة)، لم تكن معروفة في ظل أية حكومة سابقة، ولكنه لايزال من سبق الحوادث أن تعرف إلى أي حد يمكنهم أن يغتنموا الفرص التي تتيحها لهم أوضاع الحياة الجديدة. وإن نشر تعاليم الإسلام في الصين الذي مازال يسير هناك بقدر ما تسمح به الظروف، ليدل على أمل في التوسع لايزال وطيدًا. ومع أنه قد انقضت أربعة قرون على الوقت الذي استطاع فيه مسلم رحالة[٢] في الصين أن يناقش احتمال دخول الإمبراطور في الإسلام ودخول رعيته من بعده، فإنه لايزال من الممكن أن يقرر المسلم الصيني في هذا الجيل أن أبناء دينه في هذه البلاد يتطلعون في ثقة إلى ذلك اليوم، الذي ينتصر فيه الإسلام في طول الإمبراطورية الصينية وعرضها[٣].

---

(١) وللوقوف على ثبت أكثر إسهامًا الثورات الإسلامية، انظر Mission d,Ollone, p. 436

(٢) سيد علي أكبر: ختاي نامه ص٨٣ "إذ اعتقد إمبراطور الصين الإسلام، فلا مفر من أن يعتقد رعيته الإسلام كذلك، لأنهم جميعًا يقدسونه إلى حد أنهم يصدقونه في كل ما يقول. فإذا ما قوي هذا الضوء المنبعث من الغرب فإن كفار الشرق سوف يدخلون في الإسلام زرافات ووحدانا، دون أن يبدوا معارضة، لأنهم مجردون من كل تعصب في المسائل الدينية".

(٣) ثمرات الفنون ٢٦ من شوال ص٣ (١٣١١هـ).